

عَنْ عَيْنَانِ

لِلْأَيُّمِيَّةِ الْهَزْلِيَّةِ
بِقَلَمِ الْأَيْتَانِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكِيمِ

ترى في مما يسترعى انتباهك بوجه خاص ؟
إني بعد هذا كله أدى كسائر الناس .
أنا رجل قصير ، سواد بشرتي كسواد
الفجر ، تحملني ساقان غير متكاثرتين طولا .
أما رأسي الممول فإنه قلة لما في بدني من تشويه
وقبح . وفي وجهي عينان صغيرتان
مستديرازان في محجرين عميقين ، وأنف أفطس ،
وفم واسع غليظ أشبه ما يكون بفم الضفدعة .
وقد كنت ترى جهتي الضيقة بين أذنين
أكبر حجما مما تكون في العامة الآدان .
وتجد كذلك في وجهي علامات تربك مبلغ
ما صنع الجسد من التهم بلحم وجهي حين
بليت به وأنا في الثانية عشرة من عمري .
وفي رجلي اليمنى عرج بسبب سطة سقطتها
وأنا صغير . حقا إني كومة من القبح . ويقول
لي الناس إني لأول وهلة أمثل لمن يراني
صورة قرد أسود . وليس بضحك الناس
حينما إذا أبصروا قردا . وإنما يبتسم ضحكهم
حين يرونني لأنني أشبه القرد وأما إنسانا
ويعلم كنت سائرا في الطريق ذات يوم إذ
سمعت من يقول غنى لصاحبه : إن هذا

كل من لهم أعين يبصرون بها يضحكون
مني إذا رأوني . ولقد بضحك بعضهم
ضحكات راعدة . وإن لديهم لأبدا مضحكة
يروونها عني . ولكني أعلم ما يقولون وأعلم ماذا
يجعلهم يضحكون كما تنهق الحمر

إن من أسباب ضحكهم وسخرتهم مني
أن لي أيضا حبيبة كما يكون لأي امرئ
حبيبة . وأكثر من ذلك مدعاة السخرية مني
زواجها . كيف أصبحت عاشقا وكيف
أصبحت زوجا ؟ لهم يجمعون من ذلك
قصة يسوقونها لساق المجانب التي يضحكون
منها ثم يفرقون في الضحك . فإذا استغفمهم
عن هذه الأعدوة الضحكة ، أحالوك على
لتنظر إلى نظرة ! وإني لأقف أمامك فإذا
كانت هذه القصة إحدى خمس وأربعين اختارتها
جريدة جرائد تريبون الأمريكية لتشر في مجموعة
أسدتها في كتاب وذلك من بين أكثر من ستين
ألف قصة أرسلت إليها من جميع أنحاء العالم في
سابقة كانت أغلبها في القصة القصيرة .
وتذكر بهذه المناسبة أن القصة التي نشرناها
في العدد الثالث تحت عنوان « لماذا هي التي دارت
بالخاترة الأول في هذه السلسلة الثانية .
وسنخبر من هذه القصص الخمس والأربعين
ما ترجمه لقراء بل حين وجب .

إني لست أنومهما كليهما . وفيه اللام ؟ لقد ولدت . ومن بدري فلمعليهما لم يريدوا أو لم يتوقعا أن أولد . ولقد حاولنا أن نحفظ بهيكل العائلة ، أنا الذي لم بدو عودي ، وأمي التي لم يهو فرعها ، ولم لا ؟ أما ينبغي لهذه الشجرة العائلية أن تبتق منها أفرع جديدة . وأن تبتق حبة بامية ؟

ولقد أخذت أمي تثير في نفسي الإحساس بالعائلة ، ذلك الإحساس الذي يهيج في نفس كل رجل لأنه كأنه اجتماعي . فسألتني أمي قائلة ذات يوم : ألم يأن أن نحج إلى بيتنا بعروس ؟

ولم فاجئني سؤال أمي ، فأجبته وأنا أهدد نفسي المزون : نعم يا أماء حين تسنح الفرصة

وأخذت أمي تستشير جاراتها اللاتي أبيضت رؤوسهن . وقضت في ذلك عدة أيام . ولما كانت تعود إلى يوما بعد يوم ، ومضت الأيام في معارف وجهها ، أصبح مرآها مشكلة تحيرني . وكنت أسألها كل يوم : ما خطبك يا أماء ؟ فتجيبني قائلة : أوه ... لا شيء يا بني . وكان يخفق مع هذه الإجابة قلب أم يفعمه اليأس وقلة الحيلة

وتصرم أسبوعان ، ولم تعد أمي تقادر الدار . وأخذ يضحك مني حتى لم يكونوا يضحكون من قبل ! ونظر إلى ذات يوم

الرجل يذكركني بأحذب نوردام ! ومع أني لست أحذب لم أفت مرة لأستج على مثل هذا . ولست أنا على كل حال من يقطع ماذا تذكر الناس مودتي أو من يذكرونه حين يرونني . على أن ضحكهم مني قد علمني من نفسي الكثير . وإني لأنكش حتى ليتداخل بعضي في بعض إذا أبصرت اللانبات يخطرون في حطابن المزدكنة الزراعية الألوان ، لأنهن يشحن مني في سرعة كما يفعل البراهمة إذا وقعت أبصارهم على بومة هم منها بتطيطون . وهن حين يرفضن في كبرياء أن ينظرن إلى نظرتهن إلى آدمي ... ويأبين أن يرعين شعوري كإنسان ، حينذاك أشعر أشد ما أشعر بحالتي الحزينة

ولما كنت قد وعيت حاسة إدراك الجمال كما يوهب أي إنسان ، فأني كذلك أستمتع بالنظر إلى ما هو جميل ، ولكن الناس يمدون ذلك مني جبرية لا غفران لها . وقصاري القول إن دلياما هذه نملز في جلاء ، أن أمشالي من البشر لا يستحقون أن يعيشوا فيها

لقد مات أبي قبل أن يشرق فجر الدائرة في نفسي . وهكذا لم يبق لي مما يسمى حياة عائلية إلا حياة أمي المعوز . ولدت شعري على أي أبوي تتم تبعة قبجي المرعب الحزن ؟ أتقع التبعة على أبي ؟ أم تقع على أمي ؟ كلا

وانت أدنى بها ألها من هذا الإخفاق إلى ضرب من الإعياء ، أراء طبيعيا في سن متقدمة كسها . ثم برحت بها العلة فلم يعد يرجى لها شفاء ... وأخيرا فإن أمي هذه ، أمي التي كانت تبرء حشاي وتبلغ فؤادي المحترق بما تسببه علي من حنانها ، أمي الحبيبة التي ظلت تربط بين نفسي وبين هذه الحياة البهيمية برباط ذهبي من حباها ، أمي التي كانت حياتي ، والتي ترى نوعا من الجلال حتى في قبضي المروع .. أقول إن أمي هذه قضت نحسها من فرط الحزن وخلفتني وحيدا . ولست أذرف الدموع عليها ، فإن تألها لي لم يدع لها فضلا من قوة لتحمل أكثر مما تحملت .

لم تطل بي الوحدة ؛ فقد حدث بعد أيام أن سمعت نقرات عكاز على الأرض أمام بيتي أعقبها صوت فتاة تقول : أعطني شيئا ياسيدي . شيئا أمسك به حياتي ، وكانت فتاة شحاذة . وعادت تقول : إن ضريرة أيها السيد فهل من صدقة ؟ فنظرت إليها ثم نظرت إلى عينيها فبعث مرآها الرئاء في قلبي .. وتفكرت وأنا أنظر إليها قد نسيت حالي . فقلت لنفسي : يا لها من مسكينة ! إنها شابة ولكن ابست لها عينان . فليس يتمكنها في حياتها هذه إلا السمع . اللبس ولم تكن هذه الفتاة ذات حسن . ولكن

رجل وخط الشيب رأسه فقال في كثير من الشفقة علي : يا له من مسكين ! لم جهدت أمه لتحصل له على عروس ؟ يا الهى لم تخلق رجلا مثل هذا ؟

وبدأت أستعمل الأصابع وأتخذ وسائل الزينة سرا . وابست الملابس الأنيقة ، ولكن ذلك لم يزد الناس إلا سخرية مني وجعل ضحكائهم أعلى مما كانت . فهل أصبحت أشد قبحا ؟ ذلك ما تبينته بعد حين . فإن الاستحمام لن يجعل من الغراب بحمة كما يقولون

لكني استأنف ما بدأت من قصة حيي أقول إنى أخيرا ، أنا الذى ذكرت لك من صفاتي ما ذكرت ؛ أنا أيضا ، وحدث لي حبيبة ! وأكبر ظنى أنك تتوق إلى معرفة نصي أو الجانب الإنسانى من حياتي وأنت لم تعد تطيق سبرا عنها . إذن دون هذه القصة لقد طمنا تعلمت أن أحب وأن أكون محبوبا . أليس ذلك طبيعيا ؟ وإن قصة حيي لقصة عجيبه حقا . فهي تدور حول شابة أحببني ثم ارتضتني زوجا دون أن تلتقي بالها قط إلى عباتي التي دفرت مني جميع الأعين وكرهتني إلى كل الأنفس .

لقد انتهت محاولة أمي لتحصل على عروس بالإخفاق ، فلن رضى امرأة أن تصبح زوجا لامرئ هو في حقيقته بين القرد والإنسان

في المدينة . ولما همت بالخروج سألتها أن
تجي ثانية إلى
وأخذت ليلى تجي* إلى بيتي من حين إلى
حين ، ثم أصبح ذلك عادة لها . وصرفنا
نتحدث في أشياء كثيرة ، وأحسست أني
أتحفف من أثقال قلبي ومن أعباء حياتي .
وصرت أجد في بعض ساعات الحياة ما يرضي
المرء بالعيش !

والسعا على عيني ليلى ! لو كانتا تبهصران
لزاد ذلك من جمالها . أليست نظمة المرأة كفيضة
بأن تفقد الرجل سواها ؟ ومع أنني علمت
ذلك من تجارب غيرة من الرجال فأنا
أستطيع أن أدرك معناه . إن قلبي المحروم له
كذلك أمانيه ؛ على أنه ليس يقرب عني مبلغ
ما في أمنيته هذه من حفاقة ... ولكن لم
أعني ذلك ؟ لعلها لم تكن تتخذ الشحاذة
سبيلا للعيش لو كان لها عيخان . ولو أنها
أخذت الشحاذة مالا ، فما كانت لتقبل مني
إلا ما أعطيتها من صدقة . كلا ما كانت عيناها
لتجعلها تجي* إلى بيتي وتحدث إلي كل
يوم .. إلى أن الذي عرفت من صفاتي ما عرفت
ولم أظف الناس لقاءنا . ولما كنا لم نكن
موضع حسد عند أحد . ولقد كنت بسبب
خلقتي التي هي مزيج من الفرد والإنسان
موضع تحيرهم من قبل كما علمت ؛ والآن
أمدتهم قصة حيي لفتاة غيباء وتعلمني بها

حسبها التناهي الأعضاء كان يوحى إلى
القس روعة الشباب . بالها من بانسة ! إن
تلي ليعطاف عليها وإنه لينتجها إليها
قلت لها في رقتي : تستطيعين أن تدخلني
وأن تجلسي هنا لحظة . فدت يدها لتحسن
موضع الباب ، ففتحت وأمسكت بيدها
وقدتها إلى داخل البيت . وكانت هذه أول
مرة تلمس فيها بدى بد فتاة ، وكان ذلك
قلبي مثقل بما يتطوى عليه من عواطف
حزينة مكبوتة . ونظرت ثانية إلى وجهها .
وجدت رونق الشباب في هذا الوجه
البائس ، على الرغم من هاتين العينين اللتين
انطاماً نورهما . ولم يكن صدرها الناعدا يمينا
عن صدرى . وأخذت تسرى في بدى زعشة
كما لو كنت أرتمش من البرد ، قبل أن أتبه
إلى سائلي هذه . ثم ارتهكت مفاصلي ،
وأحسست بشفتي تذفر جان ، وبأفهامي تسرع
كما لو كدت ألث .

وقدت الفتاة إلى مقعد في نهاية الشرفة
وقلت لها : تستطيعين أن تجلسي هنا . هل
أحست بارتماش بدى ؟ لست أدري .
وأعطيتها بعض ما طهوت من طعام
وعلمة صغيرة

وقالت لي إن اسمها ليلى ، وأنها تعيش
مع أمها المعجوز في كوخ ذي سقف من
القص على مقربة من أحد المصانع الكبيرة

لاخير ، فكيف تميز ليلي الحسن الجذاب من القبح المنفر إذا كانت لا تستطيع أن تميز النهار من الليل . لقد أخبرتني أنها ولدت عمياء . ولست أقول إن ولادتها عمياء هو حظي الحسن ولكن هل كان ذلك سوء حظها ؟

وجاءت ليلي في اليوم التالي وأفندت أفكر في زواجي بها وكيف أحقق ذلك الزواج . أليس يقتضي زواجنا أن يشهده نائب عن الله كما يحدث في كل رباط مقدس بين رجل وامرأة ؟ ولكن ما من فسيح من قساسة الله يقبل أن يشهد زواجنا . وإن لذلك سببا . إن هؤلاء القسيسين الذين يتوبون عن الله وجهة نظر دينوية لا يفتأون يسمونها روحية . إني ولبلي زوجان غير متكافئين في نظر هؤلاء . ولذلك فلن يقدموا لنا معونة مهما قيل لهم في وضوح وجهه أنه ما من أنثى غير ليلي ترغب أن تكون زوجا لي في هذه الدنيا التي يزيد فيها النساء على الرجال . وفي مثل هذه الأمور ليس غير نحدي كلمة أولئك الذين يقولون بهم يتوبون عن الله والذين يتولون هذه الخدمة في أسماء مختلفة . ولعلك لم تحط بعد علما بأنني مسلم

وسألت حظيتي قائلا: ليلي أتقبليني زوجا؟

بشي جديد يضحكون منه ! ولشدهما ضحكوا من هذا الائتلاف بين المعنى والقبح ! إنه لشي مضحك .. أليس كذلك ؟

وسألت ليلي ذات يوم قائلا: ليلي ... ما ظنك بي ؟ ولما أنى فرحا ابتسامتها التي يمازجها الحياء . فقلت لها : نعملي يا ليلي .. إني أريد أن أعرف رأيك . فقالت في رقة شديده : هل قلت عنك قط إنك رجل سي ؟ وأحسست روح الإخلاص في كلماتها فلما أنى ذلك غبطة . وبدأ لي فسألتها دون سابق قصد ، في لحظة من جيشان الماطفة أتحبيني يا ليلي ؟ وأحنت رأسها في حياء دون أن تتكلم . وشعرت أن كل ما في الحياة من جمال وسحر قد اجتمع في هذا النظر وانصرفت ليلي عقب ذلك . ليلي ! هاأنذا كذلك قد أصبح لي اسم أهتف به في شرف في هذه الدنيا الفسيحة الموحشة ! أجل أصبح لي من أنتظر مقدمه في لحظة ومن أبحرق إلى لقائه . وأصبحت حياتي حلوة ممتعة يشيع فيها الأناش . تلك حياتي التي كنت لا أجد فيها من قبل إلا الانقباض والعزلة .. أليس ذلك حظا عظيما ؟

إن الذين يسخرون مني هم أعدائي فماذا يكون الحبال لو أنهم محدثوا لي ليلي عن قبحي وصووا لها هذا القبح ؟ أنراهم فعلوا ذلك ؟ من يدري فاعلمهم فعلوه . ولكن

مسلم وأنا هندوكية ، فإذا لم يكن لديك
ما يمنعك من زواجنا فليس لدى ما يمنعي
لقد حسبت أنه ليس في هذه الحياة من
يجبني في إخلاص ، ولكن
فقاطعتها في لحظة : وما محل « لكن »
هذه الآن ؟

فقلت : أجل . هناك « لكن » غليظة
وراء تلك الحرفة الهيئنة حرفة التسول
ليست لدى والأسفاه أنوثة طاهرة أقدمها
إليك ؟ لقد كان يظلم قلبي إلى الحب على
الرغم من أنني عمياء . ولكن وعاء الشحادة
— وكثيرا ما كان يبيت فارغا بالرغم من
شحادة اليوم كله — كان يضحك ضحكة
شيطانية ساخرة من فراغ بطني وبطن أبي
فلم يكن يد من أن أذعن لملاب الشهوة
من تلك المواقف التي كانت تطرق بابنا
ومحن في هول الليل . ولبس ثمة من فائدة
إذا شعرت نحوى الآن بالاشمزاز بسبب
ذلك . إنه ما من رجل يسمع شيئا في وعاء
شحادة فانه يدافع البر . ولقد ظلمت أول
الأمر أن . أبديته نحوى من عطف كان
من هذا القبيل وأرجو أن تنفخ لي هذا
القطن السي . على أنني اليوم لا أشعر نحو
أدنى غيرك باحترام ومحبة

وقد عذبت الدهشة من كلامها لما أتت
لحظات ومعنى قولها صدمة شديدة وبقيت

وأخذتها منه دهشة . وقد جعلها لا رب
تذكرها أنني مسلم تفكر طويلا قبل أن
تجيب . ثم سألتني ماذا تقول ؟ وشمرت أن
هناك حدا لما تشمر به هذه الشحادة العمياء
من عطف على . وعدت أقول لها : ليس !
حسبك أن تذكرني أنني أدنى قبل كل شيء
وأن الله أرسلك إلى . وما التقاليد والطقوس
إلا من صنع الناس . ونظرت في توسلي
إلى شفيتها المرتعشتين ، وأحسست إحساس
القاتل ينتظر كلمة القاضي . أجل فكانت
هي التي تقضي بأن أحيأ أو بأن أموت .
وظلت ليلي صامتة . فقلت لحسا : نكلمني
يا ليلي إنني أريد أن آويك وأن أحبك
فعديني بأن تهينني السمادة

فقلت أخيرا : سوف أجيب سؤالك ،
لقد سمعت من الناس كثيرا من عبارات
الازدراء يرمونني بها ، فكما مررت بهم
قالوا : هذه حبيبة نصف القرد ؛ وأظنك
حسب أقوالهم لم تطفر بأني قسط من الجمال
فسألتها : وماذا تشمرين نحوى يا ليلي ؟
فقلت : أنت أهم معنى ذلك الجمال
الذي يتحدثون عنه . ولم أر بالضرورة قودا
وعلى ذلك فليست أبالي بما يقولون ؛ وهل كنت
أشعر خلاف ذلك حتى وثوأنهم قالوا إنك
أعظم الناس وجاعة ؟ بقلبي وحده رأيت
الدنيا . وبقياني أرى الجمال والقيح . إنك

ساكتا لا أحير كلاما . وأخيرا قلت لها :
ليلي : إن ما ذكرته هو قصة أناثية الرجل ،
تلك الأناثية الرخيصة النحطة ، ولن نخطر
لى هذه القصة على بال بعد الآن . ولم يجب
ليلي بشئ وظلت صامته حتى انصرفت
وحدث الزواج بعد بضعة أيام ، وأحدث
فى القرية ما أحدث من عجب وإثارة ففكر
وفضول . فلقد اتقينا أنا عبد الله وخطيبتي
ليلي ولم يشهد النقام أحد ، ولم يتم على
عقدنا شهيد ينوب عن الله ، ولا زكافى
ولا زكاه . وأقسمنا كلانا أن نكون
شركيين فى الحياة .

وازدادت جلبة الضحك من حولنا ،
وازداد فضول الناس وعلت قهقهتهم حين
جاءت ليلي وأمرها لتعيشا معى فى كوخى .
وأصبح الدين يعمدون من أنفسهم أوصياء
على المجتمع وإن لم يعترف بهم أحد أو
يسندهم قانون ينظرون إلينا ويمرضون
لزوجنا متساكين فى دهشة لا ولم بفطن
هؤلاء الناس إلى أن وراء هذه القصة ،
قصة حبنا وزواجنا قلبين يحترقان . وحاولت
أن أحفف عن ليلي ، وأن أذهب عنها
الحزن فقلت لها : إلى ادعى الناس يصحكون
فإنهم لا ريب بخابين

وأخذنا نعيش معا . ولست أقول إن
حياتنا الزوجية كانت حياة سعيدة من جمع

نواحيها . كانت مبعشتنا زوجين متارا
شديدا لأجانب الإنسانى من نفسيتنا . هذا
ما أصف به حياتنا الجديدة . أما عن الناس
فإن ما تواضعوا عليه من أخلاق اجتماعية
وتقاليد دينية ، يتخذون حولنا مظهرا
انتقاميا فظميا فلا معونة لنا من أحد ولا
تعاون معنا فى أية صورة ؛ وليس ثمة ما يشعرنا
أو يوحي إلينا أننا نستطيع أن نعيش
سعيدين . ولكننا أردنا أن نعيش وقد
أخذنا أهبتنا لنواجه ما يصادفنا من مصاعب
وحدث بعد ذلك حادث جديد . إن
ليلي بسيل أن تصيح أما . إن نكوبنى فى
صورة فردية آدمية ، وإن عماها لم يحولا دون
أن أكون أبا وأن تكون أما . ولقد
تجاملنا أحاديث الناس وسخرنا بهم . وماذا
يهمنى من الناس ؟ إن ما لم أكن أحلم به
من غروب السررات قد ظفرت به تباعا
فقد أصبحت محباتهم صرت زواجا . وهالذا
بسيل أن أغدو أبا . لقد توجهت بتلبي إلى
الله شاكرًا نعمه ، فما أعظمه سبحانه ...
يا عيني ليلي اللتين انطقا فيهما النور ...
إليكما ترجع ههنا .

ولكن المرض انتاب ليلي وبينها وبين
أن تضع ما فى بطنها شهوان . واستدعيت
طبيبا فحسها ورحلت أنوسل إليه أن
ينقدتها ، فقال : ليس فى الأمر ما يخيف

وسوف أشفيها . ثم سكنت لحظه وسألني :
 أمي عمياء منذ ولادتها ؟ فلما قلت له : نعم
 فخص عينيها ثابة ثم قال بعد أن تفكر
 لحظة : إني قادر على أن أرد إليها بصرها
 بعملية جراحية ولكن ذلك مستحيل الآن
 فلندعها حتى تسترد عافيتها بعد أن نضع حملها
 وهزت كلمات الطبيب قلبي من أعماقه
 وهزت شباب نفسي وهزت حياتي كلها .
 ماذا يقول الطبيب ؟ إنه يستطيع أن يعيد
 النور إلى عيني ليلى ! إذا أبصرت ليلى
 أراها ترتجف حين ترائي وهي لا تعرفني
 إلا بأنني رجل له قلب جدير بأن يحب ؟
 أراها ساعة تستطيع أن تبصرني تبقى على
 عينيها أيام واحترامي ؟ ماذا يتبنى أن أقوله
 للطبيب ؟ لقد أردت أن أصبح قاتلاً لنفسي :
 لا ، إن عينيها لا تطلبان النور . ولكنني
 وجدت نفسي أقول : ليلى ! يقول الطبيب
 إنه يستطيع أن يرى عينيك من العمى !
 ورحت أردد في سورة آية ماسمته مني
 ولكن كيف آيين لها أن إعادة النور إلى
 عينيها إنما يهدد حياتي من جذورها ؟ أأمنع
 النور عن عينيها ؟ ما هذا الذي أفكر فيه ؟
 وأي شيء يقف الإنسان دون بلوغه ليحتفظ
 بنور عينه ؟ أليس شفاء الإنسان من العمى
 إذا أتبع له حفظا دونه كل حفظ ؟ إن ليلى
 التي عرفت قلبي وفهمته من هذه الناحية

حق الفهم لا تدرك الناحية الذليوية من
 نفسي . اتد قالت لي : إذا كنت أستطيع أن
 أسترد بصرى فأني راغبة في ذلك كل الرغبة
 ألا تجد سمادة في ذلك ؟ إني إذا استطعت
 أن أراك فسيجعلك ذلك تمنحني أكثر
 مما تحب

ورأت الرضا والأمل في وجهي حتى في
 مثل تلك الحال من المرض والألم ! أكان
 ذلك لمجرد أن حياة جديدة توشك أن تنشق ؟
 وكتب الطبيب الدواء وشرح لي كيف
 أسهر عليها وكيف أعطيها دواءه وقال :
 تعال عندي حين تسترد عافيتها بعد الوضع
 وسأحدثك عن تلك العملية حديثا مفصلا
 ولبتت ليلى هادئة . ولكن رأسي كانت
 تعصف به المواقف من فرط التفكير ، وكان
 ناراً تلهب ذهني . فذهبت إلى نهاية الشرفة
 وهناك جلست وحدي . إني لا أستشعر
 شيئا من الراحة إلا في كوحى هذا الصبر .
 وسوف أحرم حتى من هذا القدر الضئيل
 من هدوء البال . ما أضيق مضطربي في هذا
 الوجود ! ... كلا ... كلا .. إنك لن ترد
 إلى ليلى بصرها أيها الطبيب ! لقد تأمرت
 مع أعدائي الذين يمتنونني على قالي ، ولكنك
 لن تقتلني فسا عجل أما بقتلك !

لماذا قدفت بالنار على حياتنا ؟ كلا ..
 لست تعلم أيها الطبيب ... إن واجبك أن

وكذبها فقلت : نعم لقد كنت نسيت
وسأذهب فأراه اليوم وأنظر ماذا يقول . ولقد
كنت أعلم أنى كاذب وكنت كالذى يتقاذفه
الأمواج . فخرجت من كوخى وعدت إليها
بعد ساعتين أقول لها : لقد مات الطبيب .
وكان ذلك قصارى من القول فإذا عسى أن
أقول أكثر منه ؟ لقد ظننت أنى لن أستطيع
أن أقول حتى هذا الذى قلت ! ولقد عجزت
حتى عن أن أظهر بمظهر الزوج الذى يجب أن
يقزعه ويجزئه بأ كهذا ، بأ موت الطبيب
الذى كان يرمع أن يشئ زوجته من الممى !
وكان على بعد ذلك أن أحتفظ فى قلبى الذى
يشحنه الألم بذلك السر الذى تولد من القسوة
والآثابية .. آه .. لقد كان حملاً أثقل من أن
يقوى قلبى على حمله ، وإن ما فعلته ابتغاء الأمن
والهدوء قد قضى قضاء مبرماً على راحة ضميرى
وهدوء بالى إلى الأبد

وأخذت الأيام التسعة تماقب يوماً فى
إحدى يوم . وقد حدث أن رأيت ذات يوم حين
عودتى إلى كوخى منظراً خليقاً بأن يحرق
نياط الثواب ، فقد نسيت أم ليلى أن تخرج
من الحجرة طستاً واسماً من النحاس كان فى
وسطها . وانددت ليلى صوب مرير ابنها
وكان يبكى ولم تستعن بمكازها فمثرت بالطست
فارتدت على وجهها ونفجر الدم من جبهتها ،
وكان جرحها عميقاً فحملتها إلى المستشفى

نحارب الأمراض . وإن الممى لمرض من
أقبح الأمراض وأشدّها سوءاً ، ولست
بمستطيع أن تذهب حياله مكتوف اليدين .
وعلى ذلك يجب أن تهبط لها النور ، إنك لاندردى
نبتاً عن حيانى ... ليلى عزيزتى تستطيع أن
ترى ؟ يا إلهى هب لها هذه النعمة التى يجب
أن يسعد بها كل آدمى ... ولكن يجب أن
أكون راباً قبل هذا .. قبل أن أستطيع
ليلى أن تدرك بميلها ما ذا يكون الرجل
القردى ! وبذلك أعيش فى ذاكرتها وأنا
ذلك الرجل الذى له قلب والذى أحبها فى
إخلاص وآواها . ليت شعرى هل يبقى إلى
الأبد حبها الخالى إلىى وما تراه فى من جمال ؟
إن قلبى لييكى بين أضلغى !

ووضعت ليلى غلاماً .. وعاد فضول الناس
بتمسك هذا الغلام الذى عده سفيحاً . وضحك
بعضهم مقهقماً كما تهق الحمر ! أليس ذلك
أمراً يحمل على الضحك وعلى الاستغراق
فيه ؟ ولكن هذا الغلام الذى ولد لأب قبيح
الشكل وأم عمية برى براءة كل مولود .
وتقدورت هيئة أمه وعينى أبيه !

واستردت ليلى عافيتها ، وما كادت نحس
القوة حتى ذكرتنى بما حملتنى أنا بئتنى على أن
أمسك عن الإشارة إليه ، فقالت ألا تذهب
الآن فتقابل الطبيب ؟ ولم تدرك أى عاصفة
بمنها كلماتها فمضت بقلبي

وكانت الشمس قد جنحت المغيب وأخذت
ليلي لتتعب . وأخذت أحس مرارة الألم .
وشعر بأن يرى الذي بنوه به قلبي
بوشك أن يبعث منه على رمي . ورأيت
ألا قبل لي بأن أظل قائما حيث كنت .
وجاءت أم ليلي بالغلام فوضعت به إلى جانب
أمه . وبدأ يصرخ هذا المخلوق الضئيل ولعله
اختنق في ذلك الجو الدرامي الذي أحاط
بنا . وراحت تبكي كذلك أم ليلي . ووجدت
نفسى بحيث لا أستطيع أن أملك لهم شيئا
ولا أملك انفسى نفعا

وذهبت نفس ليلي الصافية إلى بارئها
في هدوء . ولست أذكر ماذا فعلت حينذاك .
لقد وقفت تبضات قلبي ، وزلزل حوله
قلبان . وعندئذ غربت الشمس وتكاثفت
حول الظلمة . ولا يزال أولئك الذين لم
يدركوا ما كان وراء قبجي المرعب من آلام
وآمال والذين لم يقفوا على قصة حيي العجيبة .
يضحكون مني كلما رأوني . وإني لأسأل
نفسى أحيانا : ترى ماذا كانت نصير إليه
فعمتي لو أنني كنت أعمى كذلك ؟

محمد الحبيب

أراك تشمر كما لو أردت أن تضحك الآن ؟
ثم بعد لدى ما يدعوني إلى الشكوى . ومن
ذا الذي يبالي بشكائي ؟

ليلي باعزيرتي .. يا حياي ... يا دنياي !
قد استدعاني أحدا لأطباء وقال لي : لا بد أن
سقطتها كانت شديدة مرعبة فإن جرحها
خطير . وبضيت إلى ليلي وكانت راقدة تتلوى
من حرط نألها وحدثها فقالت وهي تجهش :
أجئني ؟ إني ذاهبة .. آه لو كنت
أستطيع أن أراك مرة واحدة بعيني !

وبدت لي رغبة ليل هذه الأخيرة امتحانا
يلبغ نحمل . أتراها حزينة لأن الطبيب الذي
كان قادرا على أن يرد يصرها إليها قد مات ؟
تقد لا ذت بالصمت ..

فقلت لها : ليلي لا نحسب أن رؤيتك
يباى بعينيك أمر جدير بالأهتمام ، ألم تربى
بقلبك النفى الكبير إني أعلم أنك وحدك
في هذه الدنيا التي رأيتني كما ينبغي أن أرى .
وإن الناس لا يستطيعون أن يرى بعضهم
منا بأعينهم ، وعلى ذلك فلتطبي نفسي
باعزيرتي ، وستبرئين من مرضك عما قريب
وأصحت ليلي إلى ثم أعقب ذلك صمت .

